

أسطورة ابن سلمان حول دعم خرافة الإسلام المعتدل



بقلم: د.عبدالله العودة...

عندما أصبح محمد بن سلمان (MBS) ولياً للعهد في عام 2017، تعهد بأن المملكة لن "تضيق 30 عاماً أخرى من حياتنا في التعامل مع الأفكار المتطرفة". وتعهد بدفع المملكة العربية السعودية نحو إسلام أكثر "اعتدالاً" من شأنه تمكين المرأة وتحديث المجتمع وتخفيف قبضة المؤسسة الدينية السعودية المحافظة للغاية. وقد تبنى صناع السياسات ووسائل الإعلام الغربية هذه الرواية. ومع ذلك، بعد ما يقرب من عقد من الزمان، يبدو هذا الوعد أجوفاً. إن التعيين الأخير لصالح الفوزان كمفتي عام جديد للمملكة العربية السعودية - وهو رجل دين سلفي متشدد سيئ السمعة بسبب خطابه الطائفي والعنيف - يكشف عن وهم رواية الإصلاح لولي العهد. وبعيداً عن كبح التطرف، أعاد محمد بن سلمان هندسة المؤسسة الدينية لخدمة حكمه.

تحالف مُعاد تسميته، وليس تحالفًا إصلاحيًا:

لا يزال الهيكل السياسي في المملكة العربية السعودية متشابكًا بعمق مع الوهابية، وهي تفسيرٌ متشددٌ حرفيٌ ترعاه الدولة للإسلام السني، وقد شكّل هوية المملكة منذ تأسيسها. وقد بُني التحالف بين عائلة آل سعود الحاكمة والمؤسسة الدينية الوهابية على أساس الشرعية المتبادلة: إذ يمنح رجال الدين في الدولة النظامَ الملكي السلطةَ الدينية، بينما يضمن النظام الملكي هيمنة رجال الدين على الحياة الاجتماعية والدينية.

على الرغم من ادعاءات محمد بن سلمان، لم يُفكّك هذا التحالف؛ بل أُعيد تصميمه. لم تعد المؤسسة الدينية تعمل كسلطة أخلاقية شبه مستقلة، بل كأداة سياسية لقمع المعارضة، وتزييف الولاءات الدينية، وإقرار المراسيم الملكية. يُرقّص رجال الدين الذين يُظهرون ولاءهم لمحمد بن سلمان، بينما يُكتم من يدعون إلى الإصلاح أو التعددية.

في هذا النظام المُعاد تشكيله، لا يتم تعريف "الاعتدال" بالتسامح أو الإصلاح، بل بالطاعة لمحمد بن سلمان. ما خلقه محمد بن سلمان هو لاهوت استبدادي يُقدّس هيمنته السياسية تحت ستار مكافحة التطرف.

من هو صالح الفوزان؟:

يُجسّد ترقية صالح الفوزان إلى منصب المفتي العام هذا التحول. الفوزان، وهو عضوٌ مخضرم في أعلى الهيئات الدينية في المملكة، وشخصٌ وصفه محمد بن سلمان بأنه بمثابة الأب له، أعلن علنًا أن الشيعة السعوديين غير مسلمين، وأيد العنف ضد المعارضين. في عام 2018، قبل أسابيع فقط من مقتل الصحفي السعودي والمقيم في الولايات المتحدة جمال خاشقجي - وهي العملية التي خلص مدير الاستخبارات الوطنية الأمريكية آنذاك إلى أنها بأمر من محمد بن سلمان - أصدر الفوزان فتوى تدعو إلى قتل المعارضين. وكان سلف الفوزان، عبد العزيز آل الشيخ، سيئ السمعة بالمثل، حيث برر ذات مرة العنف ضد الأقلية

الشيعة ودعا إلى تدمير الكنائس في شبه الجزيرة العربية.

يمثل الرجلان معاً استمرارية — وليس تفكيك — مؤسسة دينية متشددة لا تزال تتسم بالتعصب الشديد، وكرهية النساء ، والطائفية العنيفة، والتبعية السياسية.

بمكافأة شخصيات مثل الفوزان، أوضح محمد بن سلمان أن حملته ضد التطرف انتقائية. يزدهر علماء السلفية المتشددون الذين يؤكدون سلطته، بينما يُسحق المعتدلون الذين يتحدثونها ويدعون إلى الانفتاح السياسي .

علماء الإصلاح تحت التهديد:

من بين من أُسكتوا والدي، الدكتور سلمان العودة، أحد أبرز علماء الإصلاح في السعودية . اعتُقل عام ٢٠١٧ بسبب تغريدة دعا فيها إلى المصالحة مع قطر خلال حصارها. ومن التهم الموجهة إليه الخروج عن " منهج علماء البلاد المعتبرين"، أي مخالفته للخط الديني الرسمي. كما قاد والدي مجموعة دعمت عريضة عام ٢٠١١ تطالب السلطات السعودية بمكافحة الفساد، ودعم الديمقراطية والحريات المدنية، وإطلاق سراح المعتقلين السياسيين.

كما اعتُقل المؤرخ الإصلاحي البارز حسن فرحان المالكي عام ٢٠١٧ لانتقاداته الصريحة للوهابية ودعمه لحرية الدين. ومن التهم الموجهة إليه إهانة المؤسسة الدينية الرسمية التي يدعي محمد بن سلمان أنه يُقيدها. ويواجه كلا الرجلين، والدي والمالكي، احتمال عقوبة الإعدام بسبب آرائهما الصريحة.

يكشف اضطهادهم عن حقيقة ما يُسمى بحرب محمد بن سلمان على التطرف: فهي لا تتعلق بالأيديولوجية الدينية، بل بالسيطرة السياسية. يُمثل العلماء الإصلاحيون الذين يدافعون عن المبادئ الديمقراطية سلطةً أخلاقيةً مستقلة، وبالتالي يُشكلون تهديداً لحكم محمد بن سلمان المطلق.

اللاهوت الاستبدادي في ثوبه الحديث:

إن تعيين صالح الفوزان مفتيًا عامًا ليس تعديلاً دينيًا معزولاً، بل هو ذروة الفكر الاستبدادي لمحمد بن سلمان. فمن خلال تمكين رجال الدين المتشددين الذين يُشرِّعون عنف الدولة ويقمعون الإصلاحيين، رسَّخ محمد بن سلمان نموذجًا للحكم يدمج السيطرة السياسية المطلقة مع الشرعية الدينية الانتقائية.

وهكذا، لا يُمثل مشروع محمد بن سلمان التحديثي قطيعة مع التيار الوهابي المحافظ، بل تحويله إلى شكل جديد: شكل يستبدل السلطة الدينية المستقلة بطاعة السلطة. والنتيجة واقعٌ بائسٌ بسحر التقدم الاجتماعي، حيث يمكن للنساء القيادة، وتزدهر الحفلات الموسيقية، وتُفتح دور السينما - لكن الفكر العام، والنقاش الديني، والضمير السياسي لا يزالون تحت الحصار الخانق.

ما دامت شخصيات مثل صالح الفوزان تحدد المؤسسة الدينية في المملكة العربية السعودية، فإن اعتدال محمد بن سلمان سوف يظل أسطورة، وسوف يستمر الاستبداد المتعمق في المملكة العربية السعودية في الاختفاء تحت واجهة براقعة من الإصلاح المزيف.